كراسا بعنوان : تقرير الى عائلة روتشيلد . الا ان هرتزل لم ينجح في مسعاه للقاء البارون روتشيلد لفترة عام ونيف ، مما حداه على اصدار الكراس تحت عنوان **الدولة اليهودية قبل اللقاء المنتظر** . وقد ذكرنا ان هذا الكراس كان خليطا من الكتابة الساذجة والاقصوصية الخيالية خاصة وانه يبدأ بالكلام عن الاكتشافات العلمية الحديثة واختراع الالات التي تحل مكان العمل اليدوي . ولم يتوصل هرتزل الى مقابلة البارون روتشيلد الا بعد رحلة مغامرة قام بها الى اسطنبول حيث اعتقد انه سيقابل السلطان كي يشتري فلسطين منه مقابل مليوني جنيه . وعلى الرغم من فشله المزري والتكاليف التي ابتزها منه مرافقه نيولنسكي خلال هذه الرحلة ، عاد هرتزل وسط الاشاعات التي اعتبرها مؤاتية والتي قالت ان هرتزل قابل السلطان . وانتهى هرتزل اخيرا الى لقاء البارون في ١٨ تموز (يوليو) ١٨٩٦ في مكتب الاخير في باريس . وخلال هذا اللقاء قام جدال عنيف حسب تعبيرات المذكرات بدأ باثارة البارون على هرتزل على انه نوع جديد من برنارد الناسك . ويبدو ان هرتزل كان يصر طوال المقابلة على قراءة « التقرير الى عائلة روتشيلد » (اي كراس الدولة اليهودية) الا ان البارون كان يقاطعه باستمرار وقال له فيما قال : « لست بحاجة اليك لان تأتيني وتقول لي اننا الان لدينا الالات في متناولنا » . كما ان كلام هرتزل عن مشروعه الكبير في تنظيم الدولة بجيشها النظامي المنمق لم يلق حماسة لدى البارون الذي كان يمول مستوطنات فلسطين ، فقال له : « ان العيون لا يجب ان تكون اكبر من المعدة » .

خرج هرتزل من هذا الاجتماع ولديه بعض الشعور بانه ربما سيضطر الى تنفيذ المشروع بمفرده — اي دون مساعدة كبار المتمولين وربما بوجه عدائهم له . والواقع ان هرتزل كان قبل هذا اللقاء يردد في مذكراته القول انه يواجه معارضة كبار اثرياء اليهود . الا ان هذا الشعور كان من باب الدون كيشوتية ، يعطيه شعورا بالاهمية النفسية اكثر منه من باب الواقع . ولا شك في ان البارون لم يكن يريد ان يرتبط اسمه بالنداء العلني من اجل انشاء دولة في فلسطين حيث كانت المستوطنات برعايته تحت رحمة الحكومة العثمانية . الا ان هرتزل لم يفهم ذلك ، بل غالبا ما شعر وردد في مذكراته ان « معارضة » مشروعه كانت تأتي من اولئك الذين كانوا يحسدونه وينافسونه على السلطة في قيادة الحركة ودولة المستقبل . ونذكر مثلا في هذا الصدد اللقاء الذي تم في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) بين هرتزل وفانبرغ واحد العاملين في جمعية التوطين اليهودية التي مولها البارون هيرش ، في منزل الحاخام زادوك كاهن في باريس . وخلال هذا اللقاء توجه هرتزل الى فانبرغ بالكلام المتعالي وقال له : « ان جمعيات التوطين الحالية يجب ان ترضخ لقضيتنا ، واذا وجدنا معارضة فسنقضي عليها كليا » . عندئذ اجابه المضيف ، الحاخام اليهودي ذو الشأن في الاوساط اليهودية الثرية بالقول : « ولكن لم يجابهك احد بالمعارضة حتى الان » !

الواقع انه بعد خروج هرتزل مباشرة من اجتماعه بالبارون روتشيلد الذي ذكرناه اعلاه ، جاءه احد المقربين من البارون واسمه مايرسون كان قد حضر الاجتماع ليقول له ان عليه ان يبدأ عمليته على مستوى صغير وفيما بعد سيظهر البارون تدريجيا عطفه نحو المخطط . وفعلا ، لما عاد هرتزل الى عمله في فيينه وجد نفسه في وسط الاحداث اذ ان الصهيونيين المارين في العاصمة النمساوية ، عادة في طريقهم من فلسطين او روسيه الى باريس حيث مكتب البارون ، كانوا دائما يتصلون بهرتزل ويجتمعون به ، مما جعله يحس بانه فعلا زعيم الحركة الصهيونية . وعلى ذلك ، ونظرا لتوصل هرتزل الى رئاسة المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في غضون عام من هذه الاحداث ، فان بعض دارسي الصهيونية اعتبروا ان هذه الحركة كانت قبل المؤتمر مكتملة تنظيميا وماليا ولم ينقصها الا من يتزعمها فجاء هرتزل يشغل مركز الزعامة . ولا شك ان في هذا القول